



الأحد 17/1/2010

الشيخ محمد خير الشعال

سلسلة مكارم الأخلاق

أوزار مساوى الأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق وكلما ارتقيت في سلم الأخلاق كلما تمسكت بهذا الدين أكثر، وكلما تفلت رجل من مكارم الأخلاق كلما ابتعد عن التمسك بهذا الدين أكثر.

خمسة أوزار تعود على سيئ الخلق:

1- بغض الله تعالى:

كل من ساء خلقه ليعلم أن الله يبغض منه هذا الخلق، فمن كانت أخلاقه سيئة فليعلم أنه متمسك بما يبغض رب العالمين، وبحسب المرء ردعاً لنفسه عن مساوى الأخلاق أن الله يبغض صاحبها

• قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: 23].

الله لا يحب من يتكبر على زوجته وإخوانه وجيرانه وموظفيه ووالديه وأرحامه والناس أجمعين... بل ويبغضه، وإذا أبغض الله رجلاً فإن خاتمته ستكون سيئة جداً.

ذكر عن معمل كبير لصناعة الحلويات في إحدى البلاد العربية بلغ مستوى إنتاجه أنه يصدر في كل يوم طائرة محملة بالحلويات للبلاد الأخرى غير أن صاحبه كان شاباً متكبراً وقد كان من تكبره أنه دخل مرة إلى معمله فشاهد أحد العمال مقصراً في عمله فأنبهه بقسوة فما كان من العامل إلا أن دافع عن نفسه مبيناً له سبب هذا التقصير، فغضب صاحب المعمل وأمسك

بقطعة من العجين ليرميها أرضاً ويدوسها بقدمه قائلاً: أنرد علي جواباً والناس يأكلون الطعام من تحت قدمي، فما هي إلا يومين وأصيب صاحب المعمل بحادث قطعت فيه رجله.

قال العلماء: من كان بُغْدَه عن الله بسبب معصية فَارْجُ له التوبة، ومن كان بُغْدَه عن الله من كبر فلا ترجو له توبة؛ فأول معصية عُصِيَ الله تعالى بها هي الكبر عندما عصى إبليس أمر الله تعالى ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]

• قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، من اعتدى على رجل فإن الله لا يحبه وإن صام أو صلى أو حج...

• قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 57].

• قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36].

• قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77].

• قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: 107].

مجموع هذه الآيات تَعَلِّمُنَا أن الله يبغض صاحب الأخلاق السيئة.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ» [الترمذي].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُتِمْتَ، قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ» [الإمام أحمد وأبو داود].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: لَمَّا كُسِرَتْ رُبَاعِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشُجَّ فِي جَبْهَتِهِ فَجَعَلَتِ الدِّمَاءُ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي طَعَانًا وَلَا لَعْنًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي دَاعِيَةً وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [البيهقي في الشعب].

جاء رجل يرتدي ثوباً حسناً إلى رجل صالح ذو أخلاق حسنة فلما تكلم الرجل تكلم بكلام فاحش وبذيء، فقال الصالح: إما أن تتكلم بمثل ما ارتديت من ثياب، وإما أن تلبس بمثل تكلمت من كلام.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا» [الحاكم والبيهقي في الشعب].
سَفْسَافَهَا: أي السيئ منها.

عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَسَّانٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَتَنْظِفُوا - أَرَاهُ قَالَ - أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ) قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: (نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ) [الترمذي].

2- بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ولئن أبغض رسول الله رجلاً فما سيكون شأنه وحاله؟!
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطُؤُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْرِقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْمُتْلِمِسُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَنْتِ» [الطبراني في الصغير والأوسط].
الْمَشَاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ: صاحب النميمة من يحمل كلام الناس السيئ لينقله.

روي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل ذكر له شيئاً عن رجل آخر، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6]، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: 11] وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود لذلك أبداً.

قالوا: من ثم لك ثم عليك.

عن مالك بن دينار رحمه الله، قال: مر عيسى ابن مريم عليه السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا، فقال عيسى ابن مريم عليه السلام: (ما أشد بياض أسنانه) يعظّمهم وينهاهم عن الغيبة [ذم الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا].

تجد بعض الناس كلما أساء ابنه ينبهه بزجره وتوبيخه لكن إذا أحسن لا يتكلم شيئاً.
تجد زوجة يحسن إليها زوجها فلا تتكلم بشيء حتى إذا قصّر قالت: ما رأيت منك خيراً قط... فهذه الأمور تجعل الآخر لا يعود لإحسانه.

عن عبد الله بن أبي ربيعة المخرّومي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم استسلف منه، حين غزا حنيناً ثلاثين أو أربعين ألفاً، فلما قدم قضاها إياه، ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْوَفَاءُ وَالْحَمْدُ**» [الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه].

إذا لم تشكر والديك وصاحب العمل وشريكك وجارك... انقطع المعروف بين الناس
عن أبي ثعلبة الحُشَينِي رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْعَدَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدُكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِيُكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرَثَارُونَ، الْمُتَفَيِّهُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ**» [الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي].

قال الأحنف بن قيس

قَالَ معاوية، رحمه الله، لعُقَال: بما سادكم الأحنف (وقد كان دميم الحلقة وفي رجليه خنْفٌ أي ميلان ولذلك سمي الأحنف) وهو خارجي؟ فقال: إن شئت حدثتك عنه بخصلة، وإن شئت باثنتين وإن شئت بثلاث، وإن شئت حدثتك إلى الليل، فقال حدثني عنه بثلاث خصال، قال: لم أر أحداً من خلق الله كان أغلب لنفسه من الأحنف، فقال: نعم والله الخصلة! قال: ولم أر أحداً من خلق الله أكرم جليس من الأحنف، قال: نعم والله الخصلة! قال: ولم أر أحداً من خلق الله كان أحظى من الأحنف، قال: كان يفعل الرجل الشيء فتصير حظوته للأحنف [أما لي القالي].

قَالَ رَجُلٌ لِأَحْنَفَ بْنِ قَيْسٍ: ذُلَّنِي عَلَى مُرُوءَةٍ بِلَا مُؤُونَةٍ؟ قَالَ: عَلَيْكَ بِالْخُلُقِ الْفَسِيحِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْقَبِيحِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّاءَ الَّذِي أَغْيَا الْأَطِبَّاءَ اللِّسَانُ الْبَذِيءُ، وَالْفِعْلُ الرَّدِيءُ [البيهقي في الشعب].

إذا كان الإنسان لا يستطيع ضبط لسانه فلا يستطيع أن تُسَلِّمَهُ زمام الأمور؛ لأنه إذا غضب أخرج ما يرضي وما لا يرضي.

عند أهل التربية الروحية شيء اسمه التخلية والتحلية، والمقصود بالتخلية: التخلص من الأفعال الدنيئة والصفات المرذولة، والمقصود بالتحلية: أن تتحلى بالصفات الحسنة والأفعال الحمودة.

إذا ملئ الكأس ماء فلن تستطيع أن تعبئه بشيء آخر حتى تفرغه فإذا أفرغته استطعت ملأه بما أردت، وكذلك من أراد التحلي بصفات الأنبياء والصالحين والمحبوبين لحضرة رب العالمين فلا بد من أن يتخلى عن الأفعال المذمومة.

3- دخول النار:

عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: بَاتَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْلَةً يُصَلِّي، فَجَعَلَ يَبْكِي وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي.. حَتَّى أَصْبَحَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا كَانَ دُعَاؤُكَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ إِلَّا فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، فَقَالَ: يَا أُمُّ الدَّرْدَاءِ، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ يَحْسُنُ خُلُقَهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ حُسْنُ الْخُلُقِ الْجَنَّةَ، وَيُسِيءُ خُلُقَهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ سُوءُ خُلُقِهِ النَّارَ، وَإِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ لَيُغْفَرُ لَهُ وَهُوَ نَائِمٌ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، قَالَ: يَقُومُ أَخُوهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَتَهَجَّدُ فَيَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَيَسْتَجِيبُ لَهُ، وَيَدْعُو لِأَخِيهِ فَيَسْتَجِيبُ لَهُ فِيهِ [البيهقي في الشعب والبخاري في الأدب وأحمد في الزهد].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتٍ الْآخِرَةِ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَجَةٍ فِي جَهَنَّمَ» [الطبراني في الكبير].

احذر أن يعلق بك خلق سيئ من كذب أو غيبة أو عدم شكر المحسن أو ازدراء الناس أو الحقد أو الحسد...

4- إفساد العمل:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْخُلُقُ الْحَسَنُ يُذِيبُ الْخَطَايَا كَمَا يُذِيبُ الْمَاءُ الْجَلِيدَ، وَالْخُلُقُ السُّوءُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ» [الطبراني في الكبير].

5- خسران الحسنات وفقدان أجر الطاعات والعبادات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [مسلم].

ليراجع كل منا في هذه السلسلة أخلاقه ليتحلى بالأخلاق الحسنة ويتخلى عن السيئة قبل أن يصل إلى خسران الطاعات وفقدان أجر العبادات.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَمِنْ شَقَوَتِهِ سُوءُ الْخُلُقِ» [البيهقي في الشعب].

قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا أَفَادَ امْرُؤٌ بَعْدَ إِيمَانٍ بِاللَّهِ خَيْرًا مِنْ امْرَأَةٍ حَسَنَةِ الْخُلُقِ، وَمَا أَفَادَ امْرُؤٌ بَعْدَ كُفْرٍ بِاللَّهِ شَرًّا مِنْ امْرَأَةٍ حَدِيدَةِ اللِّسَانِ سَيِّئَةِ الْخُلُقِ) [البيهقي في الشعب].

أحد الإخوة تزوج بفتاة لها شهادة جامعية عالية وهو من أسرة بسيطة بنى بيته بيده وجهده وصادف أنه أقام عرسه في الشتاء فنزل في تلك الليلة أمطار غزيرة.

وفي صباح ليلته وجد الزوج أن المطر قد نزل على سطح الغرفة ليدخل إلى غرفة العروس ويملاً السجاد ماء فاضطرب من هذا المنظر.

شعرت المرأة بما أصاب زوجها من التوتر فقالت له: لم أنت مضطرب؟! سأخرج معك السجادة بعد توقف المطر لتجف على السطح.

قال الزوج: لما سمعت زوجتي تقول ذلك شعرت كأن برداً وسلاماً نزل على قلبي من حسن خلق زوجتي.

ومن الطُّرَف التي تروى أن رجلاً كان لديه امرأة سيئة الخلق وكان صابراً عليها غير أنه لما حضره الموت قال لها: يا امرأة إذا مت فيني أوصيك أن تتزوجي بفلان من معارفي، فتعجبت

الزوجة وسألته عن السبب؟! فقال: إن هذا الرجل أساء إلي في حياتي إساءة كبيرة وإني أحب أن أكافئه.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.
والحمد لله رب العالمين.